شكاة ...

بقلم ا لدكتور طه حسين

أرفعها إلى وزير التربية والتعليم والى مجالس الجامعات مطمئنا إلى انهم سيلقونها بما ينبغي لها من العناية والرفق والإنصاف لأنها جديرة منهم بهذا كله، فهي تتصل بهؤلاء الذين يمنحون أبناء الشعب خلاصة نفوسهم وقلوبهم وعقولهم منذ يصبحون إلى حين يمسون وعسى أن يمنحوهم هذه الخلاصة حين يجنهم الليل وحين يحب الناس أن يأووا إلى دورهم وأن يأخذوا بحظوظهم من راحة الجسم وفراغ البال وهم المعلمون الذين يفدون على مدارسهم ومعاهدهم مع الصبح كأقوى ما يكون الناس قوة وأوفر ما يكون الناس نشاطا وامضى ما يكون الناس عزما واصفى ما يكون الناس نفسا . ثم يروحون إلى أهلهم آخر النهار وقد استنفدوا كل ما غدوا به من قوة ونشاط ومن مضاء عزم وصفاء نفس ولم يردوا على أهلهم إلا أجساما قد بلغ منها الضعف ونفوسا قد فارقها الصفاء وعزائم قد ادركها الفتور لانهم انفقوا يومهم معلمين ومؤديين فاجهدوا في التعليم والتأديب كل ما ادخروا من قوة وادركهم الإعياء المادي والمعنوي منحوا خيرا ما فيهم للمدرسة وردوا من انفسهم بقايا كليلة مغلولة لا تكاد تصلح لشيء فهم أحق الناس بالرعاية وأجدرهم بالعناية وأحراهم أن ترفق بهم الدولة فتضع عنهم من أثقال الحياة وتزيل عنهم من همومها اعظم ما تستطيع.

وما أعرف أحدا يحتاج إلى أن يوضع عنه الثقل ويجلى عنه الهم كالمعلم الذى يجب عليه أن يمنح قلبه كله وعقله كله وإخلاصه كله لهؤلاء الطفل والشباب الذين تكل اليهم تربية أجسامهم وتثقيف عقولهم وإعدادهم ليحتملوا في قوة وكرامة أعباء الحياة .

والمعلم الذى يشغله الهم عن إعداد الدرس ويصده عن الفراغ للتلاميذ ويبغض إليه الحياة والعمل ويزهده في النشاط والجد ويعرضه للضيق لكل شيء وللضيق بكل إنسان رجل لأخير فيه لنفسه ولا خير فيه للناس. فكيف ونحن نكلفه أن يخلص نفسه كلها ونشاطه كله لصغار التلاميذ وكبارهم ونسأله أخر الأمر عما ينتهى إليه جده وجهده من تعليم هؤلاء التلاميذ ونلومه بحساب وبغير حساب عما يكون في حياة الصبية والشباب من عوج وعما يعرض لهم من التواء سواء أكان عن ذلك مسئولا أم غير مسئول.

وبقدر ما يثقل التكليف الذى يفرض على الناس ينبغي أن توفر لهم القوى والوسائل التي تمكنهم من النهوض به على خير ما يكون النهوض بالتكاليف.

ووزير التربية والتعليم ورجال الجامعات يعرفون حق المعرفة أن أعباء الحياة المادية في هذه الأيام ليست هينة ولا يسيره وان احتمالها يحتاج إلى الجهد والصبر وسعة الحيلة وان أجور المعلمين لا تكاد تنهض بحاجاتهم وحاجات من يعولون وهم بها قانعون ينتظرون أن يأذن الله باليسر الذى يوسع عليهم وعلى غيرهم من المواطنين في الحياة ويقرب اليهم والى غيرهم من المواطنين ما لا تستطيع أيديهم أن تناله من حاجاتهم فما بال هذا الثقل الذى رفع عن المعلمين منذ أعوام يرد اليهم في هذا العام وأريد به المصروفات الجامعية كما يسميها الناس واذا تحدثت إلى وزير التربية

والتعليم والى رجال الجامعات في هذا الموضوع فإنما أتحدث فيه لأنى أنا الذى وضع هذا الثقل عن المعلمين حين كنت ناهضا بشؤون التعليم وأوكد للسيد الوزير انى لم ارفعه تقربا اليهم أو لأطفالهم أو إيثار لمرضاهم عنى وثنائهم على فما حفلت قط في أن يرضى الناس عنى أو يسخطوا وما حفلت قط بان يثنى الناس على أو يلهجوا بي وإنما وضعت عنهم هذا الثقل لأصرفهم إلى التعليم واخلصهم له وأريحهم من هم يثقل عليهم ويخف على الدولة أن تريحهم منه .

وأنا بعد لم اخترع هذا التخفيف من عند نفسى وإنما وجدت أمما متحضرة ممعنه في الحضارة ترى من الحق عليها أن تعفى المعلمين من نفقات التعليم التي يحتاج إليها أبناؤهم لانهم يعلمون الناس ويمنحونهم في سبيل ذلك قوة أجسامهم ونفوسهم : فلا أقل من أن يعفوا من دفع الأجور لأبنائهم حين يتعلمون وما ينبغي أن ينظر إلى هذا الإعفاء على انه تمييز للمعلمين من سائر المواطنين وإنما ينبغي أن ينظر إليه على انه تيسير على

المعلمين وتمكين لهم من أن يؤدوا واجبهم كأحسن ما يؤدى الواجب. والمعلم حين يؤدى واجبه لا يؤديه إلى فريق بعينه من المواطنين وإنما يؤديه إلى الوطن كله والى المواطنين جميعا فتيسير الحياة على المعلم ليس إيثارا له بالخير وإنما هو خدمة عامة تقدم إلى تلاميذه على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم . شأنه في ذلك شأن الجندي الذى تكلفه الدولة أن يكون مستعدا في كل لحظة من لحظات حياته ليؤدي واجبه الوطني الخطير. فهي تيسر له الحياة وتذلل له سبلها لا تؤثره بالخير من دون الناس وإنما تتيح له أن يبذل جهده ونفسه في سبيل الناس مطمئنا إلى ما يبذل من الجهد والنفس . وليس المعلم آخر الأمر إلا جنديا يحارب الجهل ويذوده عن نفوس الصبية والشباب يحارب في أوقات السلم وفى أوقات الحرب ويجاهد في أوقات الشدة وفى أوقات اللين واذا ملأ الهم قلب المعلم وصرف عن الفراغ لدرسه وشغل عن العناية الخالصة بتلاميذه لم يخسر هو وحده وإنما خسرنا نحن جميعا معه فالصبية والشباب الأبرياء هم الذين يجنون نتائج ما يتعرض له المعلم من شدة الحياة أولينها ومن نعيم العيش أو بؤسه ومن فراغ البال أو اشتغاله بالهين والعسير من الأمر.

ومن أيسر الأشياء أن تنظر إلى الأجور التي يتقاضاها المعلمون آخر الشهر والتي تتقاضاها الكثرة الكثيرة منهم بنوع خاص والى الأعباء التي يطلب اليهم أن ينهضوا بها لأنفسهم ولمن يعولون وان نقدر حال المعلم الذى يكون له الولد الكثير من البنين والبنات الذين يختلفون إلى المدارس والمعاهد والجامعات وأن نسأل انفسنا كيف يتاح له أن يدير الحياة المادية لأهله وولده وكيف يقتطع من أجره هذا ما يرده إلى الدولة أجرا لتعليم ابنه في الجامعة أليس مما يمض النفس ويثقل عليها أن يطلب إلى معلم قد لا يتجاوز مرتبه عشرة جنيهات أو عشرين جنيها أو اكثر من ذلك قليلا أن يقتطع من هذا المرتب في أول العام الجامعي نصفه أو ثلثه أو أن ينزل عنه كله ليدفعه أجرا لتعليم ابنه أو آن يقترض مثله أو مثليه إن كان له ابنان أو اكثر ليؤدي أجور التعليم . وما ينبغي أن يقال أن هذا

شأن الموظفين جميعا فللمعلم شأن غير شأن الموظفين هو يهدى العلم إلى الصبية والشباب يبذل في ذلك اكثر كثيرا مما تعطيه الدولة من الأجر. فلا ينبغي أن يهدى العلم عامة كله وان يشترى العلم لأبنائه ويتكلف في شراء العلم ما لا يطيق وما قد يعرضه لما لا يجمل برجل التعليم.

وما ينبغي أن تكره الظروف المادية رجال التعليم على أن يصدوا أبناءهم عن طلب العلم ويمسكوهم على الجهل إمساكا وانا أفهم ألا يقدم ابن المعلم على غيره حين يراد القبول في كليات الجامعات . فهذا هو التمييز الذى لا ينبغي للمعلم أن يطمع فيه مادامت الجامعات قليلة ومادامت الأماكن فيها معدودة محدودة وإنما يجب إن تقبل الجامعات خير من يتقدم إليها وان يوضع ابن المعلم من ذلك في مكانه الذى ينبغي له لا يمتاز من احد ولا يمتاز منه احد .

هذا شيء لا ينبغي الجدال وإنما الشيء الذى الح فيه اشد الإلحاح على وزير التربية والتعليم وعلى رجال الجامعات هو ألا يرد ثقل المصروفات على المعلمين وان يترك لهم ما منحوا من التخفيف عنهم والتيسير عليهم وما اشك في أن المواطنين على اختلاف طبقاتهم لا يضيقون بذلك ولا يجدون فيه ظلما أو إيثارا . فالمواطنون جميعا يقدرون مكان المعلم فيهم وبلاءه في تربية أبنائهم وتعليمهم وليس منهم إلا من يبر المعلم ويرفق به ويحب أن يناله البر والرفق وان يمكن من أداء واجبه على خير وجه وبفرغ له كأحسن ما يكون الفراغ للواجب .

فليفكر في ذلك وزير التربية والتعليم مشكورا مبرورا وليفكر فيه رجال الجامعات موفقين وليرفعوا هذا الثقل عن قوم تنوء بهم الإثقال التي يحبونها وما ينبغي أن نضيف إليها أثقالا يكرهونها فقد تصرفهم هذه الإثقال البغيضة عن أثقال أخرى حبيبة إلى نفوسهم أثيرة في قلوبهم فيها لهم متعة وفيها للوطن نفع أي نفع وغناء أي غناء .

الجمهورية ، ٢٥ نوفمبر ١٩٥٤ .